الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ : ١٦ اكتوبر ٢٠٠٢

اليوم الحزين الأمريكي

شعب يرفض الحرب ضد العراق وحكومة تصر على ضربه.. أهي حالة انفصام الشخصية السياسية في أميركا؟

يصف الشعب الأمريكي قرار الكونجرس الصادر يوم الخميس 10 أكتوبر عام 2002، بضرب العراق، باليوم الحزين الأمريكي على اغتيال الديمقراطية وتشييع جنازتها من واشنطون، وهذا يثبت بالدليل القاطع أن الشعب الأمريكي لا يتحدث بلغة واحدة تجاه المسألة العراقية، على عكس ما ذهب إليه الرئيس جورج بوش في خطابيه قبل وبعد صدور الموافقة على ضرب العراق، حيث جاء في خطابه الأول قبل موافقة الكونجرس يوم الاثنين 7 اكتوبر عام 2002، ان هناك قناعة تامة عند الشعب الأمريكي بحتمية ضرب العراق لحماية الأمن القومي الأمريكي، وذلك لإقناع الكونجرس بأهمية موافقته وقدم له الشرعية الدستورية المستندة الى محاربة أمريكا للمعتدين عليها، أما خطابه الثاني الذي القاه يوم الجمعة الماضية 11 أكتوبر عام 2002، في مدينة سنسيناتي بولاية اوهايو، فقد حدد فيه بوضوح الموقف الأمريكي من العراق الذي يستهدف تغيير نظام الحكم في بغداد سواء كان العراق يمتلك أو لا يمتلك أسلحة الدمار الشامل، الذي يترتب عليه سواء نجح أو فشل في التفاهم مع الأمم المتحدة حول قضية التفتيش.

هذا الفهم لخطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش يرمي إلى إلغاء الجدل حول ضرب العراق في داخل العالم العربي وإبطال الحوار مع دول الوحدة الأوربية، ووقف النقاش في أروقة الأمم المتحدة، والتغلب على التصادم بين الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن، لكن ردود الفعل منها جميعا جاءت معاكسة للتوجه الأمريكي بالحرب، لإصرارهم على البدء بالوسائل الدبلوماسية بين الأمم المتحدة في نيويورك والحكومة العراقية في بغداد حول التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل لمنع الوقوع في براثن حرب جديدة تزهق أعداداً هائلة من الأرواح، وتدمر الكثير من الممتلكات، وتهدد الأمن الإقليمي وتدفع بالعالم إلى حافة هاوية حرب شاملة تقضي على الحضارة الإنسانية المعاصرة.

المعارضة لواشنطون في ضرب العراق بعد إباحته بقرار الكونجرس، لم تأت فقط من خارج أمريكا، وإنما تصاعدت أيضاً من داخلها، لأن جمهرة المثقفين الأمريكيين من المفكرين واساتذة الجامعات وطلبتها والكتّاب والفنانين واعداد كبيرة من المواطنين العاديين يعارضون قرار الكونجرس ويطالبون بإلغائه لأنه يفتقد للشرعية الدستورية التي تحرم الخروج إلى الحرب وتبيح الدفاع عن ارض الوطن الأمريكي، واكدوا أنهم لا يرون تهديداً عراقياً مباشراً أو غير مباشر لأمريكا، وهذا الموقف الشعبي الأمريكي ضد قرار الكونجرس يجعلنا أمام حالة انفصام الشخصية السياسية، شعب يرفض الدخول في حرب ضد العراق، وحكومة تصر على ضرب العراق، وهذا الموقف الامريكي المزدوج يلتقي مع موقف بريطانيا حليفة أمريكا، التي يتحفظ فيها الشعب على الحرب في الوقت الذي تندفع فيه حكومته صوب القتال في العراق.

حصول البيت الأبيض على الضوء الأخضر من الكونجرس بالحرب ضد العراق، لا يضفي على هذه الحرب الشرعية الدولية، وإنما يعطي فقط الحق للرئيس الأمريكي جورج بوش بالتصرف العسكري الذي لا يستطيع أن يمارسه تحت مظلة الشرعية الدولية، إلا بعد صدور قرار من مجلس الأمن، مرتكزاً على الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة، يدعو إلى محاربة العراق. وتعثر صدور قرار مجلس الأمن قيد الرئيس جورج بوش في اتخاذ قرار بدء القتال ضد العراق، فاندفعت واشنطون ولندن تستجديان الدول ذات الثقل بالفيتو في مجلس الأمن للحصول على موافقتها على مشروع القرار الأمريكي بضرب العراق، غير أن هذه الدول الثلاث فرنسا وروسيا والصين رفضت اتخاذ موقف مؤيد لأمريكا في حربها ضد العراق، ومن

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

المرجح أن تستخدم حقها في الاعتراض (الفيتو) عند التصويت على مشروع القرار الأمريكي بضرب العراق استناداً إلى حساباتها السياسية التي أوصلتها الى الإحساس بالخطورة البالغة الامريكية على العالم.

تتضح هذه الخطورة من وجهة نظر باريس وبرلين وهما الدولتان اللتان تقودان المعارضة ضد أمريكا، بأن واشنطون لا ترغب فقط من ضرب العراق اسقاط نظامه القائم في بغداد وتجريده من أسلحة الدمار الشامل، وإنما تسعى ايضا إلى فرض النفوذ الأمريكي على العالم كله الذي يمس استقلال كل الدول بما فيها فرنسا وألمانيا، وهو أمر مرفوض منهما ومن غيرهما من دول اخرى توصلت من خلال حساباتها السياسية إلى نفس الخطر الامريكي، وقد أدى هذا الموقف الدولي إلى توتر العلاقات الامريكية مع الدول التي تعلن معارضتها لمحاربة العراق وتطالب بإعطاء فرصة للعمل السياسي لإنقاذ الدنيا من السيطرة الامريكية المترتبة على ضرب العراق.

لا يخفى ان فرنسا وألمانيا وغيرهما من الدول توصلت إلى هذا الخطر الامريكي من ما جاء في خطاب الرئيس جورج بوش الذي ألقاه بعد قرار الكونجرس بالموافقة على ضرب العراق بتأكيده على وجود مخاطر أخرى في العديد من الدول تهدد الأمن والاستقرار في العالم، وذهب إلى أن اخطر هذه المخاطر ما هو قائم بالعراق الذي يجمع بين التهديد للعالم وبين قدرته التكنولوجية القادرة على تنفيذ هذا الوعيد، خصوصا أن نظامه السياسي الديكتاتوري لا يرحم مما جعل من النظام العراقي نظاماً فريداً من نوعه يجب القضاء عليه لحماية العالم من شروره.

هذه الفقرة من خطاب الرئيس جورج بوش جعلت فرنسا وألمانيا تصران على عدم اللجوء إلى الحرب ضد العراق اليوم، خوفاً من قيام أمريكا بمحاربة غير العراق في الغد طالما هناك مخاطر في دول اخرى تهدد الأمن والاستقرار العالمي، وطالبتا بإيجاد ضوابط تحدد العلاقات بين الدول وفقا للمبادئ والقيم والمثل التي حكمت العلاقات الدولية، وترجمت في شكل معاهدات ومواثيق دولية، دون أن يحق لأحد توجيه التهم للدول أو فرض أساليب الحكم بها.

لا شك أن الموقفين الرسميين في باريس وبرلين ضد حرب العراق يرتكزان على إرادة الجماهير الشعبية التي ترفض الحرب لحماية الشعب العراقي من ويلاتها، وليس حرصاً على طاغية بغداد صدام حسين ونظامه الديكتاتوري الموغل في قمع الناس، وقد اتضح هذا الموقف الفرنسي من خطاب رئيس وزرائها جان بيير رافاران أمام «الجمعية الوطنية» (البرلمان) يوم الثلاثاء 9 فبراير عام 2002، الذي أكد فيه وقوف فرنسا ضد ضرب العراق تعاطفاً مع الشعب العراقي بالعمل السياسي الذي يحقق ابعاد خطر الموت الجماعي عنه، وأعلن أمام الجمعية الوطنية أن فرنسا لن تسمح بمحاربة العراق طالما هناك فرص للتفاهم السلمي بين الأمم المتحدة في نيويورك وبين الحكومة العراقية في بغداد حول اسلحة الدمار الشامل، لأن باريس تؤمن بأن الحرب هي الخيار الاخير في التعامل مع العراق ولا يلجأ إليها إلا بعد استنفاد كل سبل التفاهم الدبلوماسي معه.

هذا الموقف الفرنسي الواضح بثقله في داخل مجلس الأمن بالفيتو يعثر صدور قرار مجلس الأمن بضرب العراق فتفقد امريكا الشرعية الدولية للتحرك العسكري، ويفرض عليها الالتزام بالإرادة الدولية التي تذهب إلى البدء بالوسائل السلمية في التعامل مع بغداد، فإن تعذر الاستمرار بها بحث مجلس الأمن كيفية إلزامه بالقوة التخلص من أسلحة الدمار الشامل، وهذا الانتظار يقلق واشنطون، الذي ربما يدفعها إلى محاربة العراق بدون مظلة الشرعية الدولية وهو خطر يتربص بالأمن الإقليمي والسلام العالمي.

رضا محمد لاري

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية